**المحاضرة الخامسة: نشأة النحو العربي البدايات**

أصبحت لغة قريش أغنى اللغات العربية وأشملها وأعذبها وأقدرها على تصوير المعاني المختلفة بسبب توافد القبائل العربية من شتى البلدان كل عام بعضهم للتجارة والبعض الآخر للتفاخر والتهاجي وتسابق الخطباء والشعراء في استعمال لغة قريش ونقلوا الكثير منها إلى قبائلهم فانتشرت في الجزيرة العريبة وسادت بتلك اللغة المنتقاة ولم يختلط العرب بغيرهم من العجم قبل الإسلام إلا النزر القليل من أجل بيع أو شراء وكانت الألفاظ التي يستعملونها لا تخرج عن أسماء السلع وأدوات القتال وغيرها من الألفاظ التي لا تأثير لها في لغتهم التي تجري في كيانهم مجرى الدم في العروق.

وحين نزل القرآن الكريم على نبي الرحمة والهدى محمد بن عبد الله – صلوات الله وسلامه عليه – كانت لغتهم جميعا أي العرب في الجاهلية عربية فصيحة صافية نقية من الشوائب. فلما سطع نور الإسلام وانتشر خارج الجزيرة العربية ودخل الناس في دين الله أفواجا اضطر العرب للاختلاط بغيرهم من الأعاجم في سائر الأمصار وتطلب هذا أن يفهم بعضهم بعضا من أجل التجارة والمنافع والتعليم وغير ذلك فسمع العرب من الأعاجم والعكس فنتج عن هذا التخاطب والإصغاء بين الطرفين فساد في اللغة وظهر اللحن وشاع بين أوساط الناس، فهب أولوا الأمر من المسلمين ينظرون في اللحن ويحذرون منه.

ولذلك ففي رحاب اللغة العربية، تتجلى عبقرية البشر في إبداع قواعد نحوية تميزت بالدقة والتفصيل. ولذا فعلم النحو العربي ليس مجرد أداة لتنظيم اللغة، بل هو أحد الأعمدة الأساسية التي أسهمت في حفظ هوية الأمة وثقافتها عبر العصور. يعود الفضل في تأسيس هذا العلم إلى كوكبة من العلماء والنحاة الذين تفانوا في دراسة اللغة ووضع قواعدها، ليضمنوا استمراريتها وسلامتها من التحريف.

1. **البدايات الأولى**: مما لا شك فيه أن ظهور اللحن وانتشاره وزحفه إلى القرآن الكريم والحديث النبوي هو الباعث على تدوين هذا النحو . لكن العلماء اختلفوا في من أشار بوضع النحو، فمنهم من قال:

* الذي ابتدأ هذا العمل هو أبو الأسود الدؤلي بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
* وقيل بإشارة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه دفع إلى أبي الأسود رقعة كتب فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى وقال له انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك) ومن حينها سمي بالنحو.
* وقيل بإشارة (زياد بن أبيه) وكان أبو الأسود معلم أولاده وهو والي العراق حينئذ.[[1]](#footnote-1)

1. **أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو**:

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، وُلد قبل الهجرة النبويّة بـ16 سنة، وكان يعيش مع قومه جنوب مكة المكرمة، ولم يدخل المدينة إلّا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه نهل فيها من العلم الشرعي، فأخذ الحديث عن عدد من الصحابة، منهم الخليفة عمر بن الخطاب، وقال أبو عمرو الداني "قرأ القرآن على عثمان وعلي".

هاجر إلى البصرة بعد الفتح، وتولى هناك عددا من المناصب في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان. ولما قامت الفتنة، كان أبو الأسود في شيعة علي بن أبي طالب، وقاتل معه في موقعة الجمل وصفّين، وولّاه علي قضاء البصرة.

طغت كنيته "أبو الأسود" على اسمه فاشتهر بها، علما أنه لم يكن ذا بشرة سوداء، وليس له ولد اسمه أسود. ورضي أبو الأسود لنفسه هذه الكنية لأن اسمه -أي "ظالم"- ثقيل على السمع، ويتنافى مع مكانته الاجتماعية، ومع كونه قاضيا يتّصف بالعدل.

ويعدّ أبو الأسود واضع علم النحو، وقد كان مشهورا بالفصاحة، وقال عن نفسه "إنّي لأجد للّحن غمزًا كغمز اللحم"؛ فكان أوّل من ضبط قواعد النحو، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف النصب والرفع والجرّ والجزم، وكانت إسهاماته في تأسيس النحو الأساس الذي تكوَّن منه لاحقا المذهب البصري. ونقل الواقدي أن عليًّا -رضي الله عنه- أمره بوضع شيء في النحو لمّا سمع اللحن، فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال علي "ما أحسن هذا النحو الذي نحوتَ"، فمن ثمّ سمّي النحو نحوا.

وقد أخذ العديد من التلاميذ بنهج أبي الأسود، واستشهدوا بما وضع، ومن بينهم عبد الرّحمن بن هرمز الأعرج ويُعدّ أول ناقل لعِلم النّحو إلى المدينة، وعطاء بن أبي الأسود الذي قام بتبسيط النّحو، وتعيين أبوابه ومقاييسه، ويحيى بن يعمَر الذي عيّن الأبواب النّحويّة، وغيرهم كثير.[[2]](#footnote-2)

1. ينظر، عبد الرحمن عبد الرحمن الأهدل، نشأة النحو العربي، البدايات 1، 1/12/2020، <https://www.islamweb.net/ar/article/231466> [↑](#footnote-ref-1)
2. ينظر، فيديو من قناة تأملات حول أبي الأسود الدؤلي، <https://www.aljazeera.net/programs/contemplation/2021/11/23> [↑](#footnote-ref-2)